كيف تحولت المحبة الإلهية الثالوثية من علاقة شركة الجوهر بين أقانيم الثالوث إلى طاقة وقوة؟

دكتور
جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

كيف تحولت المحبة الإلهية الثالوثية من علاقة شركة الجوهر بين أقانيم الثالوث إلى طاقة وقوة؟

من آنٍ لآخر تجود علينا مخيلة الأنبا بيشوي بما رَسَبَ في حياته من معرفة وتذوق خاصٍّ به. هذا شأنه، له حسابٌ عند ربه ومخلصه، لكن المشكلة الحقيقية هي أنه يظن أن ما لديه من معرفة وخبرة، هو إيمان الكنيسة الجامعة.

آخر اختراعات نيافته هي انفصال الطاقة والقوة عن الأقانيم، وأن ما يوهَب لنا هو طاقة وليست الله. وهو بذلك يريد أن يستر عورته التي كشف عنها منذ عام ١٩٨١ – ١٩٨٢ عندما تزعَّم ونَشِط في تجريم الشركة في طبيعة الحياة الإلهية، وصار يلعب بالكلام عن الفرق بين الجوهر والأقنوم والطاقة، وهو ما أوصله في نهاية لعبته إلى أن الطاقة هي غير الله، وأن أي تعليم غير ذلك، هو تعليم غير أرثوذكسي.

القفز من على سور التألُّه:

تنشر صحافتنا المصرية من آنٍ لآخر صوراً لتلاميذ مدارس يهربون من الدراسة بالقفز من فوق سور المدرسة، هكذا يقفز المطران من على سور التسليم الكنسي هرباً من ادِّعاء بأن التألُّه شركٌ وهرطقة، وهو ما تزعَّمه منذ عام ١٩٨٢م. فقد أدرك خطورة ما حدث باعتبار أنه يمس وجوده في الكنيسة بعد أن تصدى له رئيس أساقفة سمولنسك (روسيا) عندما نطق المطران في اجتماعٍ خاص بالكنائس الشرقية، بأن التألُّه بدعة بيزنطية. عندئذٍ أدرك المطران –بعد فوات الأوان– أنه دخل طريقاً مسدوداً، وأصبح عليه أن يتراجع، ولو بغير انتظام. فوجد في الطاقةِ سوراً آخر يقفز من فوقه،

ليدعم تعليمه الذي ينكر أُلوهية حلول الثالوث فينا؛ وهو التعليم الذي أكَّده الرب نفسه طبقاً للقول الرباني في (يوحنا ١٤: ٢٢-٢٣) عن استعلان أقنوم الرب يسوع رداً على سؤال يهوذا، ليس الاسخريوطي: "يا سيد ماذا حدث حتى أنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟ أجاب يسوع وقال له إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي **وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً**"، وأضاف الرب مؤكِّداً إن الكلام الذي سمعه يهوذا وغيره من الرسل رداً على استعلان الابن، سوف يعلِّمه الروح القدس، بل يذكِّر الرسل بكل ما قاله يسوع نفسه (يوحنا ١٤: ٢٤-٢٦). ولم يقل الرب -معلِناً محبة الآب- إن هذه المحبة هي طاقة، بل هي العلاقة الأقنومية الخاصة بين الابن والآب، فالابن هو "الابن المحبوب". ويصفه الرسول بولس بأنه: "ابن محبة الآب"، لا طاقة ولا قوة؛ لأن الله نفسه هو محبة، بل في صراحة يوحنا: "كل مَن يحب فقد ولِدَ من الله ويعرف الله. ومَن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة" (١يوحنا ٤: ٧-٨).

ومحبة الله ليست طاقة، بل هي انسكاب روح الله فينا؛ لأن الله محبة -كما قال بولس: "محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس **المُعطىَ لنا**" (رو ٥: ٥)، فكيف وبأي قوة تحوَّلت محبة الله لنا إلى طاقة وقوة؟ الرب يقول بنفسه إن المحبة المتبادَلة بينه وبين الآب، سوف تكون من نصيب البشر: "عرَّفتهم اسمك (كآب)، وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم" (يوحنا ١٧: ١٦)، أليست هذه هي سكنى الثالوث فينا: "إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً"؟

القفز من على سور الأريوسية:

عن جهلٍ وليس عن معرفة -هذا بكل يقين- ما أصاب المطران الذي لم يدرس اللاهوت ولا التاريخ. عند أريوس، المسيح هو قوة الله الآب، ولكنه ليس مساوياً للآب. وعند أريوس، المسيح يعرف الآب كما تعرفه المخلوقات، هذا شُرِح بكفاية في المقالات الأربع للقديس أثناسيوس ضد الأريوسيين. والمسيح هو قوة الآب وحكمة الآب، ولكن الفرق بين "قوة الله وحكمة الله"، وبين "قوة الآب"، و"كلمة

الآب" هو أن الأولى تنفي خصوصية العلاقة مع الآب، وتجعل العلاقة مع الله مثلها مثل العلاقة مع كل الكائنات. أما الثانية، فهي تجعل المسيح هو "ابن الآب حسب الجوهر"، وليس حسب الإرادة وحدها، والشريك للآب في كل صفات الجوهر، فالابن ليس صفةً من صفات الآب؛ ولكن ما شاع طوال ٤٠ سنة بأن الثالوث هو صفات الوجود والعقل والحياة: الآب هو الوجود، والابن هو العقل، والروح القدس هو الحياة، هو الذي حوَّل التعليم عن أقانيم الثالوث، إلى صفات. ورغم محاولة أستاذنا الكبير د. وهيب عطا الله، إنقاذ الموقف بقوله إن الأقانيم ليست مجرد صفات، بل هي صفات ذاتية وجوهرية بدونها تنعدم الذات الإلهية، إلا أن هذا لا يكفي بالمرة؛ لأن الأقنوم هو "تعيينٌ خاص في الله"، والأقنوم شخصٌ وليس صفةً؛ لأنه يتحرك ويحيا ويتكلم ويعمل إرادة الآب حسب أقوال الرب نفسه. أما حصار الثالوث في ثلاث صفات، فهو بدعة سابليوس، وإن أتت في شكل عربي جديد ينكر خصوصية الأقانيم وتمايزها باعتبار أن كل أقنوم هو كائن وحي وعاقل، وهي الصفات التي يشترك فيها الثلاثة. أمَّا المحبة، فهي ليست صفة من صفات الله مثل القوة والحكمة، بل هي الله نفسه، هي حياته؛ لأن محبة الله الثالوث ليست صفة، وبذلُ الابنِ الوحيد لنفسه بسبب محبة الآب (يوحنا ٣: ١٦)، ليس بذلَ صفةٍ. وانسكابُ محبة الله فينا بالروح القدس ليس انسكابَ صفةٍ، بل دخولنا في شركة هذه المحبة لنكون فعلاً أبناء الله (رو ٨: ١٤-١٦).

الطاقة غامضة، والقوة أكثر غموضاً، وكلاهما يفتقر إلى وضوح الإنجيل. أما المحبة، فهي واضحة كالشمس؛ لأنها تعطي للإنسان ما لا يشوبه أي غموض: "نحن الآن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه متى أُظهِرَ نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١يو ٣: ٢). وهذه ليست رؤية طاقة أو قوة، بل شخص وأقنوم الرب: "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف ... نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها" (٢كور ٣: ١٨)، فالرب هنا ليس طاقة ولا قوة، بل هو ابن الله الأقنوم الثاني الذي له صورة مجد وليس صورة طاقة.

أما تجنُّب شركة المحبة هذه بمقولة إن الله يشمئز من الخطاة، حسب تعبير المطران؛ ولذلك ما فينا ليس هو الله، بل طاقة، فهو ليس إلا إبادةٌ تامةٌ للمحبة الإلهية الثالوثية؛ لأن المحبة هي محبة شخصية، وهي لا تسندها العقوبة، كما قال أحدهم، بل تسندها النعمة الغالبة لفساد الإنسان.

د. جورج حبيب بباوي